الصبر الجميل

د. أم تميم

إن الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أنفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ وَأَشْهَدُ أن لا إِلَهَ إِلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ وَأن مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

الصبر الجميل

_أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ص بالصفح الجميل والهجر الجميلفقال تعالى:{ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ(85)}[الحجر]

_وقال سبحانه:{ وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (10)} [المزمل]

فهناك صبرٌ جميل، وصفحٌ جميل، وهجرٌ جميل،

فما هو الصبر الجميل؟ هو صبرٌ لا شكوى فيه ولا جزع

_الصفح الجميل: هو الصفح بلا عتاب

_الهجر الجميل: هو هجرٌ بلا أذى

◘الصبر في اللغة يعني:مصدر:صبر يصبر،وهو مأخوذ من مادة (الصاد والباء والراء) فهذه الكلمة بحسب اللغة لها ثلاثة معاني :

1_الأول: الحبس .

2_ الثاني: أعالي الشيء.

3_الثالث: جنس من الحجارة.

_الصبر: يُقال صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها.

_التصبُر: تكلُف الصبر،ومن يتصبر يُصبِره الله،فإذا أراد الإنسان أن يتعلم الصبر ويصبح من الصابرين فعليه أن يتكلف الصبر.

فما هو معنى التكلُف؟؟

أي إدعاء الصبر،فيدعي الشخص أمام نفسه أنه صبور ومرة بعد مرة حتى يكتسب صفة الصبر وهذا يمكن أن يحدث في جميع معاني الدين ومقاماته،فإذا كان الإنسان بخيلًا (مثلًا):نفسه شحيحة لا يجود بما عنده للناس، وعلم أن صفة البخل مذمومة من الله سبحانه وتعاليومن الناس،فأراد أن يكون كريمًا فماذا يفعل؟

_عليه أن يتكلف الكرم:

فيُخرج المال مرة بعد مرة بتكلُّف ومع الوقت يُصبح الأمر سهلًا ويحدُث دون تكلف فيتحول إلى شخص كريم،وهكذا فأي أمر في الدين يصعُب على المسلم الوصول له فعليه أن يتكلف في فعله ومرة بعد مرة يصل إلى مرحلة القيام به دون تكلف.

فالإنسان إذا لم يكن مُتصفًا بالصبر ..

ثم تكلف الصبر..

وتصنعه..

وادعاه فإنه مرة بعد مرة سوف يُصبح صبورًا.

◘الصبر اصطلاحًا:

_قال الراغب:الصبر هوحبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع،أو عما يقتضيان حبسها عنه.

_فيحبس الإنسان نفسه عن ما ترغب فيه من الأشياء المحرمة شرعًا.

مثال:

فالأم لا تُعطي طفلها الصغير كل شيء يُظهر رغبته فيه،بل أنها لا تُعطي له إلا الأشياء التي ترى فيها مصلحته فقط،والأم العاقلة مهما أظهر الطفل من انفعال وبكاء لأنه يرغب في شيء وهي ترى أن في هذا الشيء ضرره فإنها لا تُعْطيه له.

وكذلك يجب أن تكون العلاقة مع النفس حين تشتهي شيءأوتطلبه وهذا الشيء فيه ضرر عليها في آخرتهاأوفيه إنقاص لمكانتها عند الله وبالتالي سيحدُث لها أذى نتيجة هذا العطاء،فعلى العاقل أن يمنع نفسه من هذا العطاء.

ـ الصبر: يُطلق على أسماء تختلف بحسب اختلاف موقعها..

1 ـ حبس النفس عند المصيبة يُسمى: صبرًا

فعند نزول المصيبة (شيء جاء على غير مراد الإنسان)يظهر مدى صبر الشخص وفهمه عن الله وكيف أنه راضٍ عن قضاء الله،أو العكس عدم الصبر والجزع وعدم الرضا بما جاء من عند الله.

ـ فحبس النفس عن الجزع،وعن التسخطعلى أقدار الله،ومنع اللسان عن أن يتكلم بما يُغضِب الله،والامتناع بالكلية عن فعل أمر من أفعال الجاهلية، كل هذا يُسمى(صبر).

2_وإن كان فيه مُحاربة سميِّ: شجاعة:

فالشخص الذي يدخل ساحة القتال ويُحارب ويُقاتل ببسالة ابتغاء مرضات الله وحتى تعلو كلمة التوحيد، وصبر على رؤية بارقة السيوف على رأسه، وأمامه عدو يمكن أن ينقض عليه ويقتله،وإذا ما قُتل فإنه يكون قد خسر كل شيء،يعلم كل هذا ومع ذلك ظل يُقاتل في ساحة القتال لينصر دين الله فإن هذا أيضًا يُسمى شجاعةا

3_الصبر في إمساك الكلام يُسمى:كتمانًا:

وهذا الأمر أصبح نادرًا جدًا بين المسلمين،فقليلًا ما يوجد إنسان يُفضي إلى غيره بسر ثم يحفظه هذا الآخر ولا يُفشيه،وكان الواجب على هذا الأخر أن لا يُفشي سِر صاحبه فلا آداب الدين ولا الأخلاق تُبيح له أن يفضح صاحبه بإفشاء سره،ولكن الحاصل بين أكثر الناس هو التبرع بإفشاء الأسرار إلى جانب دخول الغيبة والنميمة أثناء إفشاء هذه الأسرار وهذا لا يجوز من الشخص العادي فضلًا عن أن يكون مسلمًا فليس هذا بالخُلق الكريم.

4_وعن فضول العيش سُميَّ:زُهدًا:

فما هو فضول العيش:(الزيادة على الاقتصاد)إنسان يعيش حياة تتسم بقلة وبساطة التكلفة والمؤنة،حياة بسيطة وفي نفس الوقت ليس لديه تطلعات إلى أن ينتقل إلى مستوى أفضل من ذلك فهو زاهد في الدنيا، الصبر في هذه

الحالة يُسمى زُهدًا (الإمساك عن فضول العيش) هذا الإنسان استوت عنده الأشياء فلا القليل ولا الكثير يعنيه لأن السعادة بيد الله سبحانه.

الضحك والبكاء أمرٌ إلاهي وليس تدبيرٌ بشري..

لابد أن نفهم أن السعادة ليست متوقفة على(البيت-السيارة_المال_الجمال) ولو كانت السعادة متوقفة على هذه الأشياء لما كثُرت حالات الانتحار في العالم الغربي، ولو أن المسألة تمَّ النظر إليها حسب آليات العقل لتعجبنا لماذا يلجأ هؤلاء إلى الانتحار وبأعداد كبيرة،فلديهم(المال_الجمال_المدن نظيفة_ليس لديهم بطالة فالكل يعمل وحتى مَن لا يجد عمل فإن الدولة تقوم بإعطائه نصف الراتب).

الشاهد:أن كل شيء بالنسبة لهم مُيسَّر ولا توجد أي مُعاناة في طريقة العيش، بعد كل هذا يُقدِم الكثير منهم على الانتحار فلماذا؟لأن النفس لا تجد ما يروي ظمأها.

-أما الإنسان الذي فهم عن الله وعرف أن السعادة بيد الله فهو الذي أضحك وأبكى:{ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43)}[النجم]

_قال سبحانه:{ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (1)}[الشرح]

_انشراح الصدر هو:

الطمأنينة والسعادة وهي أيضًا بيد الله وليست متوقفة على الأشياء.

ولو فهم أصحاب الذنوب والمعاصي هذه الأشياء لاستراحت قلوبهم وعقولهم ولما تجرأ أحد على سرقة ولا على رشوة،ولو فهمت الزوجة الفقيرة هذا المعنى لرضيت عن حالها ولما نظرت إلى ما في يد غيرها، السعادة تكمن في رضا الإنسان بما قدره الله عز وجل،فالراضي بقدر الله يرضى عنه الله ويرزقه السعادة وانشراح الصدر.

5_وإن الصبر عن شهوة الفرج سُميَّ : عِفة

فتاة صغيرة أو شاب صغير(لديه القوة_الشهوة) يريد أن يتزوج ولا يجد المال لذلك فعفَّ نفسه عن الوقوع في الزنا وعن إطلاق النظر ورضي بقضاء الله فيه فيصوم أحياناً ويُخرج طاقته في ممارسة نوع من أنواع الرياضة أحيانًا أخرى فعفَّ نفسه عن الوقوع في الفحشاء، وكذلك المرأة التي تعف نفسها من الوقوع في الفاحشة فإن كل ذلك يُسمى (عِفَّة).

6_إن كان عن شهوة الطعام سُميَّ : شرف النفس

لماذا؟

لأن الطعام والأكل الكثير يُفسد على الشخص دينه (عبادته)

فكلما زادت كمية الطعام التي يتناولها كلما ثقُلَ الجسد وإذا كان هناك ثقل في الجسم فإنه يكون من الصعب على الشخص أن يقوم بالعبادة على الوجه الذي يُرضي الله(عِلميًا : إذا أكل الإنسان فإن الدم يُسحب من العقل ويتجه نحو المعدة لكي يُساعد في عملية الهضم) وبالتالي فيصبح هناك خمول_فيقف للصلاة وهو ليس مُدركًا لما يقول، وقد يقف للصلاة فيؤدي الفرض ويؤخر السنة إلى وقت آخر، وإذا نام يكون من الصعب جدًا أن يستيقظ ليُقيم الليل وقد لا يقوم لصلاة الفجر أيضًا.

_مَن يحبس نفسه عن الإفراط في الطعام والشراب وكل ما يُثقله عن أداء الطاعة فإن هذا يسمى (شرف النفس).

7_وإن كان إجابة داعي الغضب سميَّ : حِلمًا

أحيانًا يتعرض الشخص لموقف يُغضبه(سبه إنسان_أو ضربه_ اعتدى على أبنائه) فإذا استطاع أن يصبر ويحلم على مَن تسبب في إغضابه فيكظم غيظه فإن هذا يُسمى (حُلمًا) فقد يأتيه الأذى مرة ومرات من نفس الشخص

ولكنه يصبر ويتحمل ابتغاء مرضات الله وليس ضعفًا، لأن أسهل شيء أن يرُد على الأذى بالأذى وإخراج جُرعة الغيظ بالقصاص ولكن الصعب هو أن يُقابل الأذى بالحلم والصبر وكظم الغيظ والتحلي بحسن الخلق وتَذَكُر قول الله تعالى حين أثنى على أهل التقوى:

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)}[آل عمران]

_تَذَكُر هذه الأمور يحول بين الإنسان وبين وقوعه في الغضب لأن شهوة الغضب شهوة قوية ولو لم يملك الإنسان نفسه عند الغضب فسيقع في طامات كُبرى ولن يستطيع بعد ذلك أن يُسيطر على ما سيحدث.

◘يقول أحد أهل العلم:

الاسم الجامع لكل ما سبق قوله فهو

(الشجاعة_الكتمان_ الحلم_العفة_شرف النفس_الزهد)هو الصبر.

ولما لا وقد ورد ذِكر الصبر في القرآن في أكثر من تسعين موضعًاقال تعالى:{وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (45)}

[البقرة]

وقال سبحانه: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (132)}[طه]

_فما هو الصبر الجميل؟

يتحقق الوصول إلى الصبر الجميل بترك الشكوى وملازمة الرحمة والتقوى.

_فالصبر الجميل هو: الصبر الذي لا جزع فيه ولا شكوى وتُحيطه الرحمة والتقوى،ولذلك فإن الصبر الجميل أعلى من مُجرد الصبر.

قال تعالى: { قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (83)}[يوسف]

إذن: فإن مَن أراد أن يصل إلى تحقيق الصبر الجميل فعليه أن لا يشتكي ولا يجزع وأن يُحقق التقوى والرحمة.

1_فلا يشكو للناس: فإذا ما نزلت عليه مصيبة أو أصابه ابتلاء فلا يذهب هنا وهناك ليشكو للناس حاله ولا يتسخط على ما هو فيه من ابتلاء.

2_وعليه أيضًا أن لا يجزع: لأن المصيبة جاءت من عند الملك وبتقديره فهو الذي يعلم ما يُصلح وما يُفسد حال عباده فلا نجزع، يمكن أن يتواجد شيء من الحزن هذا جائز لأننا بشر ولابد أن نتأثر عند نزول الابتلاءات، ولكن هناك فرق بين الحزن وبين الجزع والهلع والاعتراض على أقدار الملك

_لابد من وجود الرحمة والتقوى:

أولًا: وجه تعلُّق الصبر الجميل بالتقوى:

العبد مُطالب بثلاثة أمور لابد له من القيام بها حتى يُرضي الله فيُدْخله الجنة:

1_فعل المأمور.

2_ترك المحظور.

3_الصبر على القضاء المقدور.

فقد قدَّر الله عز وجل مقادير الأشياء قبل خمسين ألف سنة قبل خلق السماوات والأرض فلا يحق لأحد أن يأتي اليوم ليعترض على هذا القضاء الإلهي، فالمصيبة التي وقعت اليوم كُتِبت في اللوح المحفوظ من خمسين ألف سنة فلماذا يأتي الاعتراض عليها؟

وماذا يُغير الاعتراض في أمرٍ قد قدره الله؟

فإذا فزعت وجزعت واعترضت وشكوت وتسخطت بعد نزول المصيبة

هل كل ما فعلته يُغير شيء من مقدور الله؟

لا .لن يتغير ولكن مَن يفعل هذه الأمور يخسر كل شيء(يخسر أجر الله على الصبر)

_أما فعل المأمور وترك المحظور فهما مُتعلقين بالتقوى فلماذا؟

لأن القيام بكل أمر أمرنا به على الوجه الذي يرضي الله من صلاة وزكاة وصيام وحج وغير ذلك من أوامر الله يحتاج إلى تقوى، كما أن الامتناع عن المحظور وعدم الوقوع في المُحرمات يحتاج إلى تقوى.

وقد يكون ترك النواهي أصعب من فعل الأوامر لماذا؟

لأن من المأمور ما لا نُطالب به إلا مرة واحدة في العُمر(كالحج_شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله).

أمرنا بالصيام لمدة شهر واحد من كل عام، أمرنا بالزكاة لا تخرج إلا كل عام وقد تسقط عن البعض لأنه لا يمتلك المال المحدد لها

◘المقصود: هو أن القيام بفعل الأوامر أسهل من ترك الذنوب،فاللسان الذي ينطلق ليل نهار لينال من هذا وذاك يكون من الصعب عليه أن يتوقف حتى إذا ذُكِر بقول النبي ﷺ.

قَالَ: فَأَقْبَلَ نَفَرٌ،قَالَ:فَخَشِيتُ أَنْ يَشْغَلُوا عَنِّي رَسُولَ اللهِّ ﷺ، قَالَ شُعْبَةُ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا،قَالَ:فَقُلْتُ:يَا رَسُولَ اللهِّ،قَوْلُكَ أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْلَكِ ذَلِكَ لَكَ كُلِّهِ؟ قَالَ:فَأَشَارَ رَسُولُ اللهِّ ﷺ بِيَدِهِ إِلَى لِسَانِهِ.قَالَ:قُلْتُ:يَا رَسُولَ

اللَّهِوَإِنَّا لَنُؤَاخَذُ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ قَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟»

مسند أحمد(22068)

من يعلم أن مشاهدة التلفاز وما يبثه من فسق وفجور وعُري وانحلال ومع ذلك يستمر في المُتابعة والمُشاهدة وقد يكون صائمًا أوقادمًا من أداء الصلاة، وهكذا نرى أن القيام بالأمر أسهل من ترك الذنوب.

_الصبر على ما يُصيبه من القدر المقدور.

_فالتعامل مع المصيبة والابتلاءات عند نزولها (وهي من أقدار الله) يحتاج إلى أن يتحلى الإنسان بالصبر،أما وجه ارتباط الصبر بالتقوى هنا :فهو أن التقوى تعني تنفيذ أوامر الله والبعد عن المحرمات والمصيبة تحتاج الصبر عليها، فالصبر والتقوى من عزم الأمور.

قال تعالى:

{ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)}[آل عمران]

وقال سبحانه:{ إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)}

[آل عمران]

قال عز وجل:

{قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90)}[يوسف]

انقسام الناس في التقوى والصبر على ما يُقدر عليهم في القدر الكوني إلى أربعة أقسام:

1_قسم رزقهم الله سبحانه التقوى والصبر معًاوهو أفضل الأقسام:

وليس المقصود بأن الله رزقهم هو أن الله أنزل عليهم التقوى والصبر دون أن يفعلوا شيئًا من جانبهم لتحصيل ذلك،ولكن المقصود هو:أن تحصيل التقوى والصبر جاء بالجهاد والعمل وحضور المجالس وتطبيق ما يُسمع فيها وبذل الجهد واستفراغ الوقت في تحقيق أوامر الله،القضية أن مَن أخذ بأسباب التقوى حققها، وأن مَن لم يأخذ بأسبابها لم يُحققها.

أهل التقوى والصبر هم أفضل الناس فقد أنعم الله عليهم بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة(نعيم أبدي سرمدي لا ينقطع ولا ينفك عن صاحبه أبدًا)

لأنه سيدخل جنة عرضها السماوات والأرض يقول عنها النبي ﷺ.

عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺيَقُولُ:

«مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ، خَيْرٌمِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، وَلَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»

أخرجه البخاري(6415)

وهل تدرون مساحة المكان الذي يشغله السوط إذا وضع فيه،سعادة أبدية سرمدية لا تنتهي(لا ممنوع_ولا مقطوع) فأي عاقل يترك هذه السعادة من أجل شهوات حقيرة زائلة مُنغَّصة تنتهي بمُضي الوقت،فالدنيا إلى زوال ومعلوم همها غمها ولا يمكن أن تتحقق فيها السعادة الكاملة،من المحال أن يحدث هذا بنص القرآن قال تعالى:{ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (4)} [البلد]

_قال سبحانه:

{ فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى (117)}[طه]

_هذا هو ما قاله ربنا لآدم، فالشقاء على الأرض.

_قال تبارك وتعالى:

{يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ (6)}[الانشقاق]

ليس في الدنيا أي سعادة بنص القرآن(كدح_ كبد_شقاء_تعب)هذا هو حال الناس في الدنيا فعلامَّ التنافس والعنت والصِراع الرهيب بين الناس ولو اختلى الإنسان بنفسه في لحظة صفاء وتقوى وصبر على آلام الدنيا وهمها فستتحقق له السعادة السرمدية الأبدية.

◘ علامة الإيمان:

المؤمن دائمًا يتقي ربه فيفعل المأمور ويترك المحظور ويصبر على قضاء الله وتلك هي علامة الإيمان،ومَن حقق التقوى والصبر فهو من أفضل وأحسن الناس عند الله، وهو من أوليائه فقد تعامل مع الله عز وجل بمبدأ أو تحت شِعار { إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)} فلقد فهم هذا الأمر وانطلق من خلال هذا الفهم في طاعة الله سبحانه.

_أحيانًا :حين نحُث البعض على القيام بطاعة معينة .

◘فيكون الرد:

لا أستطيع أو لا أقدر على أدائها، فلماذا صَعُبَتْ الطاعة على هؤلاء ؟

ضعف الاستعانة

شخص حفظ القرآن والآخر لم يحفظه ما هو الفرق بينهما حتى يحفظ هذا ويمتنع على الآخر إتمام ذلك ؟

لا يحتج أحد بتفاوت نسبة الذكاء فليس هذا مانعًا من ذلك لأن الله على كل شيء قدير،ولكن السبب يتمثل في أن مَن أتم الحفظ حقق الاستعانة بالله وعَلِمَ أنه سبحانه على كل شيءٍ قدير وأن الله لا يُعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض فإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.

أما الآخر فلم يكن عنده ثقة بالله منذ بداية الأمر وعندما دُعيَّ إلى حفظ كتاب الله امتنع ونظر إلى حوله وقوته واعتمد عليهما ولم يلجأ ويعتمد على حول الله وقوته فأوكله الله إلى حوله وقوته فعجز عن أن يحفظ ولو كلمة، وكم من أناس قد تقدم بهم العمر ومع ذلك حفظوا وختموا حفظ كتاب الله كاملًا، وكم من أناس أميين ومع ذلك أتموا حفظه سماعًا.

_قال تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ (17)}[القمر]

وأعظم شيء يمكن أن يقي به الإنسان نفسه من الفتن في هذا الزمان هو حفظ القرآن، لأن الذي يحفظ القرآن ينشغل بحفظه وبعد أن يُتِم الله عليه نعمته بحفظه فإن ينشغل بمراجعته وبعد ذلك يدخل في التفسير ثم بعد هذا ينشغل بتعليم الناس ما تعلم فيكون بذلك على صلة دائمة بكتاب الله فيالها من سعادة ومنزلة وفرحة أن يظل العبد منشغلًا ليل نهار بكتاب الله ومَن أحسن منه في الدنيا بأسرها فهو أفضل الناس على الأرض؟

لا أحد أفضل منه...

عَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:

«خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ القُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»

أخرجه البخاري(5027)

أين نحن من هذه الحسنات التي هي كالجبال، للأسف الكثير من المسلمين اليوم مُنشغلين بالطعام والشراب والكلام والأسواق والأسعار،ينبغي على المسلم أن يهتم بعلو همته في الفِكر وفي المهام فيتطلع دائمًا إلى العلو والارتقاء إلى أن يجد نفسه في أعلى المنازل.

الشاهد: أن المؤمن التقي يكون همه هو كيفية تحصيل التقوى والصبر على القيام بأوامر الله والصبر عن معاصيه وأيضًا الصبر عند نزول الابتلاءات خاصة إذا جاءت مضادة للهوى، فالإنسان يمكن أن يصبر إذا كان الابتلاء غير شديد فإذا ما اشتد الابتلاء وجاء ضد هواه قد يقابل ذلك بالجزع والفزع والهلع وانخلاع من التقوى ومن الدين، وهذا مما لا يجوز لأن الشخص لن يشترط على ربه أنواع الابتلاءات التي يمكن أن يبتليه بها، فالواجب عند الابتلاء أن يُقابل بالصبر لأنه من عند الحكيم العليم الذي يعلم ما يُفسد عباده وما يُصلحهم.

_من الناس مَن إذا نزل عليه البلاء تكلم بكلمات تدل على ضعف الإيمان وعدم الهيبة والتعظيم لله سبحانه وتعالى ولأوامره في القلوب وبالتالي تخرج الألفاظ ويتفوه بها اللسان وهي مما لا ينبغي لمسلم أبدًا أن يتكلم بها.

◘مَن حقق الاستعانة حصَّل الصبر والتقوى:

دائمًا ما نجد أن الإنسان الذي حقق إياك نعبد وإياك نستعين قد حقق أيضًا الصبر والتقوى والعزيمة وسيصل إلى الهدف الذي وضعه لنفسه لماذا؟

لأنه يعلم أنه بحوله وقوته لا يستطيع أن يفعل أي شيء **ولكن بحول الله وقوته يحدث كل شيء** فهو على كل شيء قدير.

إذا أذنب العبد ثم تاب وأناب فإن الله سبحانه يغفرله(هذا الكلام مُتفق عليه)مهما كان عِظم هذا الجُرم الذي وقع من الإنسان فليس أكبر من الكفر ذنب ومع ذلك فإن الله عز وجل يغفر للكافر إذا تاب ونطق بالشهادة ودخل في الإسلام،فالحليم العفو الغفور الرحيم الرحمن الودود يعفو ويغفر ويقبل التوبة ويمحو الحوبة ويقبل العبد عنده.

_فإذا ما أذنب الإنسان فلا يحتج بالقدر كمُبرر لما وقع فيه من ذنب فلم يكن يقصد القيام به فقد كان متوجهًا لمكان ما لعمل خير ولكنه فجأة وقع في ذنب أو معصية كبيرة،لقد خلى الله سبحانه بينه وبين المعصية قد يكون ذلك لاقترافه ذنب آخر لم يفعله في ذلك اليوم ولكن سبق له القيام به وهذا أمر قد يغفل البعض عنه.

قال سبحانه:

{وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)}[الشورى]

_فيمكن أن يُذنب المسلم ذنبًا ولا يتُب منه فيأتيه العقاب بعد يوم أو بعد أعوام، هذه حكمة وما ربك بظلام للعبيد.

_كما قال بعضهم:أطعتك بفضلك،والمنة لك وعصيتك بعلمك،والحجة لك، فأسألك بوجوب حجتك علي وانقطاع حجتي،إلا غفرت لي.

_فإذا أطعنا الله فبفضله والمنَّة له،وإذا عصيناه فبعلمه وليس بأمره:

{وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (205)}[البقرة]

_والحجة لك:فلا يدعي أحد حين يفعل المعصية أن الله سبحانه قد كتبها عليه من خمسين ألف سنة وهذا هو ما قدره عليه،هذا ضلال وظلم،فأنت الذي تجرأت وعصيت وتهاونت في دين الله والله لا يحب المعاصي.

وفي الحديث القدسي: "يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ،ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا،فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ،فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ»

أخرجه مسلم(2577)

_قال عز وجل:

{ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123)}

[النساء]

إن الله سبحانه وتعالى يحصي أعمال العباد ثم يُوفيهم إياها فمن يعمل خير يجد خير وهو من فضل الله، ومن يعمل شره فسيُحاسب عليه ولا يلوم إلا نفسه فلم يُوقعه في هذا الشر إلا هي:

2_القسم الثاني: تقوى بلا صبر:

هذا النوع يمكن أن يمتثل لأوامر الله فيؤدي ما عليه من صلاة وصيام وهكذا ويترك المحرمات ولكن التقوى لديه ضعيفة،فإذا أصاب هذا النوع ابتلاء فإنه يجزع ويفزع ويهلع وينعدم لديه الرضا بالقضاء.

قال تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (20) وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (21) إِلَّا الْمُصَلِّينَ (22)} [المعارج]

فالظاهر طيب ولكن ساعة الابتلاء تتغير الصورة لعدم وجود الصبر،فتكون تقوى بلا صبر حيث أنه اتقى الله لأنه امتثل لأوامره وابتعد عن مانهاه عنه، لكن إذا جاء القدر على غير هواه وعلى غير مُراد النفس فيكون الجزع والاعتراض على أقدار الله،وهذا الاعتراض يمكن أن يصل بالإنسان إلى الخروج من الإسلام وهو لا يشعر،كما سبق أن قلنا يمكن أن نحزن ولكن الحزن الذي لا يخرج الإنسان عن حدود الأدب مع الرب ولا حدود التقوى،ولا يُخرج أيضًا عن حدود مشهد المنَّة.

◘فما هي المنَّة والعبد في ابتلاء؟

المنَّة في الابتلاء أن هذا الابتلاء قد يكون سبب في دخول صاحبه الجنة، بالفعل هو يصلي ويصوم ويقوم بما افترضه الله عليه من أوامر ولكن كل هذا لا يرتقي بصاحبه إلى الدرجات العُلا في الجنة، فهو بشر وليس معصومًا ولديه من الذنوب الكثير.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ:حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ»

قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ:

«مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»

سنن أبي داود(4875) [حكم الألباني] : صحيح

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لم تتكلم ولكنها أشارت فقط فقال لها النبي ﷺ لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر للوثته،

فهل رأيتم كيف يكون وقع الكلمة؟

هل يُدرك كل واحد منَّا كم كلمة تخرج منه وهي تستوجب غضب الرب وهو لا يُلقي لها بالًا ؟

يُحقق الإنسان جبال من السيئات بمجرد انطلاق اللسان كل يوم تصل إلى عنان السماء فينزل البلاء ليُخفف عن صاحبه بعضًا من هذه الذنوب ويكون الابتلاء هو سبب في دخوله الجنة،فليس القيام بالأوامر فقط هو السبب في

دخول الجنة بل لابد من الابتعاد عن ما نهانا الله عنه(مصلي ولكنه يغتاب ويكذب ويرتشي)وما كان الله ليغفر له هذا السيئات إلا بابتلائه بهذا الابتلاء(هنا على العبد أن يرى مشهد المنَّة في هذا الابتلاء).

فالابتلاء منَّة من الله على الإنسان لأنه إما أن يكون لتكفير الذنوب وإما أن يرتفع به العبد درجات، وأيًا كان الوضع فإن الأمر كله خير.

_هذا النوع(صبر بلا تقوى):يجتهد في بعض الطاعات .

_ولكن لسان حاله يُطالب:إما إزالة ما يضره أو حصول ما ينفعه،فهو دائمًا يشكو لأنه غير راضٍ حاله وساخطًا عليه فما هو القصد من الشكوى؟

القصد هو سؤال المشكو إليه أن يُزل عنه هذه المصيبة أي أن يدفع عنه ما يضره أو يأتي إليه بما ينفعه وكأنه أنزله منزلة الإله،لقد غفل هذا الشاكي عن أن هذا إنسان مثله وقد يكون أضعف منه فهو لا يملك لنفسه شيء،لابد أن يكون لدينا يقين على أن الذي يجلب النفع للعباد ويدفع عنهم الضُر هو الله سبحانه وأن الشكوى لغيره في حد ذاتها تُعد شركًا خفي لا يراه مَن يقوم به

قال تعالى لنبيه ﷺ:{ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (7) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ (8)} .

[الشرح]

فالرغبة والرهبة لا يكونا إلا لله، فهما ليسا للعباد الذين لا يملكون لأنفسهم شيء.

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ:كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللهَّ ﷺيَوْمًا،فَقَالَ:«يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللهَّ يَحْفَظْكَ،احْفَظِ اللهَّ تَجِدْهُتُجَاهَكَ،إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَّ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهَّ،وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهَّ لَكَ،وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهَّ عَلَيْكَ،رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ» هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

سنن الترمذي(2516) [حكم الألباني] : صحيح.

والسؤال الذي يُوجه للشاكي لماذا تشكو؟

وهل شكواك ستُغير من الأمر شيء؟

يغفل الشاكي عن أنه أثناء شكواه يغتاب وينتقص من قدر مَن شكاه إلى الناس وأهداه حسناته ويمكن أن يكون قد أخذ من سيئاته ومع هذا كله فإن الأمر لن يتغير....ولكن يمكن إذا ما تعرض الإنسان لمشكلة ما أن يقوم بعرضها على شخص ثقة(عالم_شيخ_أهل للسؤال) حتى يُفتيه في كيفية حلها.

_ وسأل رجل الشافعي – رحمه الله – فقال:يا أبا عبد الله،أيهما أفضل للرجل:أن يمكن فيشكرالله– عزوجل –؟

أو يبتلى فيصبر؟

فقال الشافعي: لا يُمكَّن حتى يبتلى، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم ومحمدًا صلوات الله عليهم أجمعين، فلما صبروا مكنهم الله فلا يظن أحد أن يخلص من الألم البتة.

أراد الرجل أن يسأل الإمام أي منزلة أفضل الصبر أم الشُكر؟

فرد الإمام الشافعي يعني: إياك أن تظن أن أحدًا سوف يُمكَّن (المكانة في الدين) دون أن يُبتلى، لأن الأنبياء صلوات الله عليهم وهم أفضل البشر وأحب الخلق إلى الله قد ابتلاهم بصنوف الابتلاءات فصبروا ولما صبروا مكَّنهم الله عز وجل، وكان أعلى الأنبياء ابتلاءً النبي الخاتم ﷺ، وحين صبر وتلقى الابتلاء بصدر رحب ورضي لأنه يعلم أنه من عند الله وأدرك مشهد المنَّة جعله الله أفضل الخلق وأفضل الأنبياء صلوات الله عليهم جميعًا.

فما هي سنة الابتلاء؟

ولماذا يجب على العبد أن يُبتلى قبل أن يُمكَّن؟

- أولًا: لأن الابتلاء يُميز به الله عز وجل بين الخبيث والطيب (الله يعلم ونحن متفقين على ذلك) ولكن لابد أن يظهر علم الله للعباد، فلابد أن يُظهر الله للناس لماذا يُعطي شخص ويمنع الآخر؟

لماذا يرفع أقوامًا ويضع آخرين؟

فيبتلى هؤلاء القوم وحين يبتليهم فإنهم يصبرون ومع صبرهم هذا يعلم الله ما في قلوبهم من رضا عن الله وعدم سخط على أقدار الله فيُمَكِّن لهم في

الأرض،فالصبر تمييزوحين تنزل المصيبة أو الابتلاء يُرى مَن هو الصبور الذي يرضى بأقدار الله ممن يسخط ويجزع ولا يصبر ولا يرضى بما قدر الله.

◘فما هو أصل الابتلاء ؟

أصل الابتلاء في اللغة كما قال ابن فارس:

ابتلى العبد ابتلاءً إذا اختبره في صبره وشكره.

◘لابد أن ننتبه : لأن بعض الناس يظن أن الابتلاء لا يكون إلا في الضَّراء فقط وهذا فهم خاطئ لأن الابتلاء يشمل السَّراء والضَّراء،قال تعالى:

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)}[الأنبياء]

◘فكيف تكون صور الابتلاء بالخير؟

يكون ذلك بأن يفتح الله الدنيا عليه فتفتح له أبوابها،فينزل عليه من نعيمها الكثير، ولو نظرنا إلى أصحاب الأموال لوجدناهم أشد ابتلاءً من الفقراء

ولنضرب مثلًا لنوضح الأمر:

إنسان جائع جدًا وليس أمامه أي شيء ليسد حاجته هذه إلى الطعام وإلى الشراب فماذا يفعل؟

سوف يستسلم ويصبر فما الذي بيده أن يعمله غير أن يصبر،إنسان آخر جائع أيضًا ووضع أمامه أنواع وأشكال من الطعام لا حصر لها ومع كل هذا ممنوع عليه أن يتناول أي شيء من هذا الطعام..

فأيهما أصعب حالًا وابتلاءً؟

الأشد ابتلاءً هو الإنسان الأخير(الأغنياء) وهذا ما لا يفهمه الفقراء الذين يحسدون الأغنياء على ما هم فيه،الأغنياء لديهم كل شيء يمكن أن يرغبوا فيه ومع ذلك هم محرومون من القيام بكل شيء فقد امتنع عليهم القيام به،اختبار الغني أشد من اختبار الفقير فالفقير مجبر فهو لا يملك شيء.

_أما الأغنياء ففتنتهم أشد لأن كل شيء ميسر ومتاح أمامهم ويمتنع عليهم أن يمدوا أيديهم لينالوا منه، دنياهم هُيئت لهم وتزينت وجاءتهم خاضعة فصَعُبَ عليهم اعتزالها، ولذلك فإننا نادرًا ما نرى رجل أو امرأة من هؤلاء يُقبل على طريق الالتزام.

◘الشاهد:أن الابتلاء يأتي بالسراء ويأتي بالضراء.

_العطاء ليس دليل حب كما أن المنع ليس دليل بُغْض:

عطاء الله عز وجل لشخص دون الآخر ليس معناه محبته له وبغضه للآخر قال تعالى: {فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17)}[الفجر]

كَلَّا بَلْ لَا:هذا نفي أبدًا، فليس الأمر كما تظن أيها الإنسان،فعطاء الله عز وجل من(مال_جمال_أولاد_ وغيرها من النعم) لشخص لا يعني أنه يُحبه،كما أن منع الله لهذه الأشياء عن إنسان آخر لا يعني بغضه له،ومَن يفهم

الأمور على هذا النحو فهو مُخطئ في فهمه هذا، لأنه لا توجد أنساب بين البشر وربهم، فالله واحد أحد ليس كمثله شيء، فلا صاحبة ولا ولد ولا عشيرة.

فإذا قيل فلماذا يُعطي البعض ويمنع عن البعض؟

الكل عباد الله ولكن التفاوت يحدث ليبلوا عباده أيهم أحسن عملًا،قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)}[هود]

_لقد ابتلى الغني بالخير ليُرى هل سيشعُر بقدر ما أوتي من نعم أنعم الله بها عليه فيتقي الله في نفسه ويُخرج زكاة ماله ويخدم الفقراء ويحفظ فرجه ويصون عرضه ويقيم شرع الله في بيته وفي أولاده أم أنه سيطغى ويفسد ويبغي وهذا هو حال أكثر الأغنياء، هذا اختبار شديد جدًا لا يختلف عن المثال(الجائع) الذي ذكرناه منذ قليل.

_وفي المقابل نرى الفقير عندما ينظر إلى ما يتقلب فيه الغني من نعيم هل هو راضٍ بقضاء الله وعلم أنها دنيا طالت أم قصرت فإن مصيرها إلى زوال فشأنها ونعيمها حقير ولو كانت تساوي عند الحق تبارك وتعالى جناح بعوضة لما سقى منها الكافر شربة ماء، فعلامَّ التقاتل والتصارع والتنافس

على الملك والرياسة والمنصب والأمور الشخصية والحياتية وكل هذا لا يساوي عند الله أي شيء...

لابد أن نفيق وننتبه بل ونُدرك هذه المعاني حتى تكون منهج لحياتنا (معرفة قدر الدنيا_والعمل بقدر البقاء فيها_ومعرفة قدر الآخرة والجنة _والعمل بقدر المقام فيها) العاقل هو الذي يتصرف وفق هذا الأمر، أما الذي يعيش فيها وهو غير مدرك لكل هذه المعاني فتمُر عليه الأوقات ولا يعمل لها أي حساب(فلا تقدم_ولا إقبال_ولا تغيير) فهذا هو الخُسران المبين.

3_القسم الثالث: هو الصبر بلا تقوى:

قوم لهم نوع من الصبر بلا تقوى، مثل الفجار الذين يصبرون على ما يصيبهم في مثل أهوائهم، كاللصوص والقطّاع الذين يصبرون على الآلام في مثل ما يطلبونه من الغصب وأخذ الحرام؛ والكتّاب وأهل الديوان الذين يصبرون على ذلك في طلب ما يحصل لهم من الأموال بالخيانة وغيرها، وكذلك طلاب الرئاسة والعلو على غيرهم يصبرون من ذلك على أنواع من الأذى التي لا يصبر عليها أكثر الناس، وكذلك أهل المحبة للصور المحرمة من أهل العشق وغيرهم يصبرون في مثل ما يهوونه من المحرمات على أنواع من الأذى والآلام، وهؤلاء هم الذين يريدون علواً في الأرض أو فساداً من طلاب الرئاسة والعلو على الخلق، ومن طلاّب الأموال بالبغي والعدوان، والاستمتاع بالصور المحرّمة نظراً أو مباشرة وغير ذلك يصبرون على أنواع من

المكروهات،ولكن ليس لهم تقوى فيما تركوه من المأمور،وفعلوه من المحظور،وكذلك قد يصبر الرجل على ما يصيبه من المصائب:كالمرض والفقر وغير ذلك،ولا يكون فيه تقوى إذا قدر.

هذا النوع لديه الصبر على الضلال بكافة أشكاله(فنانين_تجار مخدرات_لصوص_كُتَّاب قصص محرمة)وليس لديه تقوى.

_القسم الرابع: فلا تقوى ولا صبر:

وهذا هو شر الأقسام:لا يتقون إذا قدروا ولا يصبرون إذا ابتلوا: بل هم كما قال الله تعالى:{ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (19) إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا(20)}[المعارج]

فهؤلاء تجدهم من أظلم الناس وأجبرهم إذا قدروا ومن أذل الناس وأجزعهم إذا قهروا، إن قهرتهم ذلوا لك ونافقوك وحابوك واسترحموك ودخلوا فيما يدفعون به عن أنفسهم من أنواع الكذب والذل وتعظيم المسئول، وإن قهروك كانوا من أظلم الناس وأقساهم قلبًا وأقلهم رحمة وإحسانًا وعفوا...

(فعندما يُعطيهم الله من العطاء نجدهم لا يُخرجون منه شيء

فلا زكاةولا صدقات_ وإذا منعهم الله أو ابتلاهم فإننا نجدهم أذلا
أجل عرض من عروض الدنيا) فحالهم يتقلب ما بين الذُلِ وبين الشُح والمنع والجزع والفزع.

◘افتراق الناس في الرحمة والصبر إلى أربعة أقسام:

1_النوع الأول:وهو الذي يصبر ويرحم (النوع المحمود):

كما قال الفقهاء عندما أرادوا أن يضعوا صفات للإمام:أن يكون قويًا من غير عنف ولينًا من غير ضعف،فبصبره يقوى وبلينه يرحم..

وقرن الله سبحانه وتعالى بين الصبر والرحمة في كتابه العزيز:

{ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17)}[البلد]

أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا،قَالَ:أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺإِلَيْهِ إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ، فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلاَمَ، وَيَقُولُ: «إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ،وَلَهُ مَا أَعْطَى،وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى،فَلْتَصْبِرْ،وَلْتَحْتَسِبْ»،فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيْهِلَيَأْتِيَنَّهَا، فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ،وَمَعَاذُ بْنُ جَبَلٍ،وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ،وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَرِجَالٌ، فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺالصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ- قَالَ:حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قَالَ كَأَنَّهَا شَنٌّ - فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ،فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «هَذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»

أخرجه البخاري(1284)،أخرجه مسلم(329)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الصَّادِقَ، الْمَصْدُوقَ ﷺصَاحِبَ هَذِهِ الْحُجْرَةِ يَقُولُ: «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»

سنن أبي داود(4942)[حكم الألباني]حسن، سنن الترمذي(1923)

2_النوع الثاني: مَن يصبر ولا يرحم:

وهذا هو الشخص الذي يصبر ولكن ليس لديه رحمة، وهذا الوصف ينتشر بين الملتزمين والملتزمات(لديهم صبر على الطاعة_ماسكين على دينهم_حافظين لكتاب ربهم_ يؤدون أوامره)ولكنهم يفتقرون إلى الرحمة،فهم ينظرون إلى أنفسهم وكأنهم ولِدوا أنقياء أتقياء لا يعلمون إلى المعصية سبيل، فإذا ما رأوا غيرهم وقد خالف الشرع في أمرٍ ما فإنهم ينتقدونه ويُوبخونه ويتعاملون معه بعنف وغلظة وشدة، ويعتبرون أن هذا هو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

ولكن حقيقة الأمر أن هذا ليس أمر بمعروف ولا نهيًا عن منكر ولكنه يؤدي إلى زيادة المنكر وإلى صد الناس عن المعروف،لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابد أن يكسوه لباس الحكمة حتى يأتي ثماره.

◘قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قد يقوم الرجل ليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيأتي بعشرات المنكرات.

_الحكمة في دعوة المُخالف تستوجب الرفق واللين والصبر عليه والحلم به

_قال تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (94)}[النساء]

_أما الشدة والغلظة والقسوة فهي من قبيل الخلل في طريقة الدعوة، لأن الداعي إذا أنكر على المخالف بهذه الشدة وانعدمت الرحمة من قلبه تجاهه فإن هذا يعني أنه يظن أن صلاحه والتزامه كان بحوله وقوته ويرى أنه في مكانة عالية ومُعجب بنفسه،مَن يرى من نفسه هذا الأمر فعليه أن ينتبه لأنه من الممكن أن يُحبط عمله فالمُعجب مُحبط عمله

(ورُب معصية أورثت ذُلًا وانكسارًا خير من طاعة أورثت عِزًا واستكبار).

فهل تدري أيها المعجب بعملك بماذا سيُختم لك؟

أنت الآن العالم الذي لا يُضاهيه في منزلته احد فهل تدري كيف سيكون حالك غدًا؟

_لقد كان أكثر دعاء النبي ﷺ"قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ:يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺإِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟قَالَ:يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ. فَتَلاَ مُعَاذٌ..

{رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا}.

سنن الترمذي(3522)

_قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام:

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (35)}[إبراهيم]

_لا أحد يدري بما سيختم له، فلما التعالي على عباد الله؟

هذا خلل في الطاعة وخلل في الفهم عن الله ومَن يفعل ذلك هو مريض القلب ويحتاج إلى علاج(عجب_كبر_استعلاء_انعدام الرحمة)، أمراض قلوب تحتاج إلى علاج أكثر من هذا المخالف الذي يقوم بدعوته.

_إنكار المنكر يحتاج إلى تصرف حكيم وتعامل رحيم حتى يتقبَّل هذا المخالف كلام الداعي.

3_النوع الثالث: مَن يرحم ولا يصبر:

وهؤلاء هم: أهل الضعف واللين مثل الكثير من النساء، فيسعى هؤلاء إلى فعل الخير(كفالة أيتام_ مساعدة فقراء_إنفاق على المرضى المحتاجين) فالقلب رحيم ويسعى دائمًا في خدمة الناس،وهذا النوع هو أفضل من سابقه لماذا؟

لأن هذا النوع يتمتع بالرحمة الشديدة ولو أن هذه الرحمة تُوجت بالطاعة وترك المعصية والامتثال لأمر الله لأصبح أفضل الناس في الدنيا، فرحمته ورقته بالعباد تجعله لا يُفكر في نفسه فقط(ليس أناني)ولكنه يحب الخير للغير، هذا نرجو له التوبة .

4_النوع الرابع: مَن لا صبر عنده ولا رحمة:

فلا يصبر على طاعة الله ولا يرحم عباد الله، فهو فظ غليظ القلب شديد، وهو أشر الناس.

◘أنواع الصبر:

_صبر بالله...

_صبر لله.....

_صبر مع الله....

1_صبر بالله هو:الاستعانة به ورؤيته أنه هو المصبر، وأنَّ صبر العبد بربه لا بنفسه،كما قال تعالى :{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ(127)}[النحل] يعني إن لم يصبرك هو لم تصبر.

_أمر الله عز وجل الإنسان بأوامر تكثُر عليه،**مثال:**شخص ذهب ليسمع درس علم وفجأة اكتشف أن حياته كلها خطأ،فهو مُطالب بأن لا يغتاب ولا ينم ولا يُشاهد التلفاز نظرًا لما يعرضه من فجور وفسوق وعُري،فإذا به يجد أنه من الصعب عليه تنفيذ كل هذه الأوامر والامتناع عن كل هذه المحرمات،فيأتي الصبر بالله أي الاستعانة بالله على أداء الطاعة وترك المعصية فإذا ما صدق العبد في استعانته بربه فسيأتي العون من عند الله..

_نرى الكثير يقولون: أريد أن أفعل ولكن لا أستطيع.

هؤلاء لو صدقوا الله وصدقت رغبتهم في احتياجهم لما عند ربهم وفعلًا القلب مُقبِل على الله سبحانه وتعالى لأمدهم الله بمددٍ من عنده ولأعانهم على تنفيذ ما أرادوا وليَسَر لهم سُبل الهداية فليس بين الله وبين عباده أنساب،فقد أعطى فريق من الناس التقوى والهداية ومنع ذلك عن فريق آخر فلماذا؟

_الفريق الأول :استعان بالله وصدقت نيته وأقبل بقلبه على ربه فمنَّ الله عليه بالتقوى.

_الفريق الثاني: لم يستعن بالله ولم يصبر على أوامره ولم يُقبل على الله فتركه الله ليعيش كما أراد لنفسه ووفق هواه.

الصبر بالله بقاء...

فلأن العبد إذا كان بالله هان عليه كل شيء ويتحمل الأثقال ولم يجد لها ثقلا فإنه إذا كان بالله لا بالخلق ولا بنفسه كان لقلبه وروحه وجود آخر وشأن آخر غير شأنه إذا كان بنفسه وبالخلق وبهذا الحال لا يجد عناء الصبر ولا مرارته وتنقلب مشاق التكليف له نعيمًا وقرة عين كما قال بعض الزهاد عالجت قيام الليل سنة وتنعمت به عشرين سنة ومن كانت قرة عينه في الصلاة لم يجد لها مشقة وكلفة.

فيبقى الإنسان في حالة الطاعة والرقي والعلو وارتقاء في مدارج الكمال

لماذا؟

لأن الإنسان عندما يصبر بالله فإن الله سبحانه وتعالى يُعطي العبد قوة على تحمل أشياء لا يستطيع تحملها من لم تتحقق له الاستعانة بالله.

مثال: بعض الشيوخ يُرزقون بالمرض، مع هذه الأمراض وبمفهوم العقل لا يُعقل أن يقوم أحدهم من على سريره إلا أن هؤلاء يخرجون ويذهبون إلى مجالس العلم ويصنفون المؤلفات ويلقون الخُطب.

_هؤلاء حققوا الاستعانة بالله فأعانهم وهو الملك الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء،والذي إذا أراد شيئًا فإنه يقول له كن فيكون،وهذا معنى الصبر بالله.

ومَن يستعن بالله على الوجه الصحيح فإنه يُعينه على نفسه وشيطانه والمجتمع والهوى وعلى كل عسير فيصبح يسيرًا بأمر الله سبحانه وبإذنه وفضله.

وكل شخص لديه طاعة أو سبيل في الدين لم يقدر على الخوض فيه أو معاصي لايستطيع تركها فعليه أن يعلم أن لديه خلل في الصبر بالله.

_الصبر لله (وهذا أعلى)...

_الصبر لله: وهو أن يكون الباعث له على الصبر محبة الله،وإرادة وجهه والتقرب إليه، لا لإظهار قوة النفس والاستحماد إلى الخلق وغير ذلك من الأعراض.

_فقد يكون هناك أمر شديد جدًا على النفس ولكن يصبر الإنسان حُبًا لله،فما معنى أن يصبر الإنسان حبًا: أمر(ما) لم يأمر الله عز وجل به.

◘مثال: صلاة الفجر على توقيت هذه الأيام يكون في حوالي الثالثة،فإذا أراد الشخص أن يقيم الليل وقد أنهى صلاة العشاء في التاسعة فماذا يفعل؟ إذا أراد ذلك فلن ينام إلا ثلاث أو أربع ساعات فما الذي دفعه إلى القيام في جوف الليل وعدم إكمال نومه؟

محبته لله سبحانه، فالقيام ليس واجبًا على الشخص، لقد صبر عن شهوة النوم والراحة وصبر عن دفء الفراش،هذا هو معنى الصبر لله.

◘جزئية: الصبر بالله مُتعلق بالربوبية،والصبر لله متعلق بالإلهية وتعلُق الإلهية أعظم من تعلُق الربوبية.

_فالصبر بالله يعني: أن العبد يطلب شيء من الله، فهو يفعل الطاعة وهو في حقيقة الأمر يطلب ما عند الله(من عطاء دنيوي أو أخروي).

_أما الصبر لله:

فليس لطلب ولكن لحب، فالصابر لله محبًا لله وليس طالبًا لشيء مما عند الله، والصبر هنا أُلوهية أي تَعَبُد.

إذن النوع الأول طلب والنوع الثاني عطاء وشتان بين مَن يطلب ومَن يُعطي فيقوم بما يقوم به وهو غير مأمور به ولكنه يعمله (محبة_تودد_تملُق للملك) حتى يقترب المحب ممن أحب.

ولأن الصبر له :صبر فيما هو حق له محبوب له مرضى له والصبر به : قد يكون في ذلك وقد يكون فيما هو مسخوط له وقد يكون في مكروه أو مباح

فأين هذا من هذا،تتلخص المقارنة في :

1_الصبر بالله متعلق بالربوبية،الصبر لله متعلق بالألوهية.

2_الصبر بالله طلب من عطاء الله، الصبر لله حبًا وعطاءً.

3_الصبر بالله قد يكون فيما هو محبوبًا له وقد يكون فيما هو مسخوط أو مكروه أو مباح، الصبر لله لا يكون إلا فيما هو محبوب له أو مرضي له.

_الصبر مع الله(أعلى المقامات)

_الصبر مع الله:وهو دوران العبد مع مراد الله الديني منه،ومع أحكامه الدينية صابرًا نفسه معها،سائرًا بسيرها مقيمًا بإقامتها،يتوجه معها أين توجهت ركائبها،وينزل معها أين استقلت مضاربها، فهذا معنى كونه صابرًا مع الله،أي قد جعل نفسه وقفًا على أوامره ومحابِّه،وهو أشد أنواع الصبر وأصعبها،وهوصبر الصديقين.

_الناس يطيعون ربهم ولكن هناك شيء من الهوى.

◘مثال: شخص أراد أن يؤدي العمرة في هذا العام ولسبب ما خارجًا عن إرادته لم يُوفق في تحقيق ما أراد فما هو رد فعل هذا الشخص؟

حزن شديد واعتراض على أمر الله وقضائه ...

هذا الإنسان لم يصبر مع الله لأنه لو صبر مع الله لكان مع مراد الله،فمراد الله هو عدم الذهاب وكان عليه أن يرضى بما أراد الله،فالخير فيما قضى الله وقدر وليس فيما أراد العبد وقصد، فقد يكون حجب هذه الطاعة في هذا العام حتى يستخرج الرب من قلب عبده عبوديات لم يكن يقوم بها قبل ذلك

(زيادة دعاء_ذُل_التضرع_انكسار_إظهار للافتقار_الرضا بقضاء الله).

_فالصبر مع الله :هو أن تصبر على أقدار الله فإذا جاء القدر الكوني على مراد الشخص فليحمد الله، وإذا جاء على غير مراده فليحمد الله أيضًا.

◘يقول الجنيد رحمه الله تعالى:

السير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن،وهجران الخلق في جنب الله شديد،والسير من النفس إلى الله صعب شديد،والصبر مع الله أشد.

فكل أقدار الله خير وكل ما أمرنا به هو خير وعلينا أن نسعى لنعمله وكل ما نُهينا عنه فعلينا أن ننتهي عنه..

وهذه هي مقامات الصبر بالله والصبر لله والصبر مع الله